

ووجدنا، ذلك أنه أفرد لقضايا الأمة على اختلاف أقطار العروبة كثيرا من كتاباته وخطاباته، ولعلّ القضية الفلسطينية هي إحدى القضايا التي استقطبت اهتمامه الكبير، فلم يتوان عن الذود عنها، والتعريف بها في شتى المنابر العلمية والمحافل الدولية، ومن ثم رأينا أن تكون ورقة البحث في شعرية الخطاب عند الإبراهيمي، على أن تكون كتاباته عن فلسطين هي موطن الشاهد في الموضوع.

الكلمات المفتاحية: البشير الإبراهيمي؛ الأدب؛ اللغة؛ الخطاب؛ فلسطين.

Abstract:

Al-Bashir Al-Ibrahimi is one of those who defended the Palestinian cause. He wrote many articles on this issue and made it an important issue and tried to have an impact all over the world, The Imam was able to write about them in various magazines and newspapers.

On this basis, we wanted to look for the aesthetics of language and literature in the writings of Al-Bashir Al-Ibrahimi on the question of Palestine, Where the language of Al-Bashir Al-Ibrahimi is a universal language and his style is considered a high-level writer.

Key words: Al-Bashir Al-Ibrahimi; Literature; Language; Discourse; Palestine

القضية الفلسطينية في

كتابات البشير

الإبراهيمي، دراسة في

شعرية الخطاب

د. محمد الصالح بوضياف

المركز الجامعي بالنعامة

الملخص

الملخص باللغة العربية:

أخلى بالإمام الإبراهيمي أن يُعدّ أحد العصاة الحاملة لتراث الإسلام العلمي، وتراث العرب الأدبي، وأحد الغالين- فعلا- في المحافظة على علوم الإسلام وآداب العرب، وحقّ له أن يزيد في بناء السلف سافا، وفي تاريخهم صحيفة وفي عددهم رقما، فاستطاع في فترة وجيزة أن يكون ابنا بارًا بالعربية، إذ خفّ لنصرتها في كلّ حين، متخذًا القلم أداة جهاد، واللغة منهجا



نصّ المقال:

لقد هيّأت للإبراهيمي أسباب اللغة، فكان أدبه قاب قوسين أو أدنى من أدب ابن المقفّع والجاحظ والتوحيدى وبديع الزمان والمعري وغيرهم. والحديث عن لغة الإمام وأسلوبه لا تسعه العبارة، ولا تحيط به اللغة نفسها، لذا آثرنا أن نقف عند قضية من القضايا التي استقطبت اهتمامه كثيرا، وهي قضية فلسطين، فقد أفرد لها الإمام الإبراهيمي سلسلة من المقالات في مختلف الصحف والمجالات التي كانت تصدر آنذاك، بخاصة في تلك الأعداد المتوالية من جريدة البصائر بعد عودتها إلى النشر سنة 1947م¹، إذ فقه عظم المسألة وراح يحمل الجميع مسؤولية تضييع الأمانة أو الاستهانة بها، ولم يكن الإمام بمعزل عن كتاب الجزائر وأدبائها في هذا المضمار، بل كانت ساحة الأدب في تلك الفترة مليئة بأسماء كبار الأدباء والشعراء واللغويين²، أمثال العلامة ابن باديس، ومحمد سعيد الزاهري والطيب العقي، والشاعر محمد العيد وغيرهم ممن اتخذ الكلمة غصّة في حلق العدو.

قضية فلسطين من منظور الإمام الإبراهيمي:

لعلّ أوّل ما بدأ به الإبراهيمي فيما حوته تلك السلسلة من جريدة البصائر في طبعتها الأخيرة حول قضية فلسطين هو نداء فلسطين نفسها، يقول: «يا فلسطين، إنّ في قلب كلّ مسلم جزائري من قضيتك جروحا دامية، وفي جفن كلّ مسلم جزائري من محتك عبرات هامية»³، بالرغم من أنّه يدرك أنّ الجزائريين معذورون في ذلك، فحال الجزائر في تلك الفترة لا يختلف عن حال فلسطين.

ليعقد موازنة بديعة بين حبّ الوطن وحبّ فلسطين، وطالما تكرّرت عنده هذه الثنائيات [الوطن/ الدين]، يقول: «يا فلسطين إذا كان حبّ الأوطان من أثر الهواء والتراب والمآرب التي يقضيها الشباب، فإنّ هوى المسلم أنّ فيك أولى القبليتين، وأنّ فيك المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله، وأنّك كنت نهاية المرحلة الأرضية وبداية المرحلة السماوية من تلك المرحلة الواصلة بين السماء والأرض صعودا، بعد رحلة آدم الواصلة بينهما هبوطا»⁴، ويستمرّ في هذه الموازنة بذكر هذه المفارقة العجيبة بين وعد موسى عليه السلام، وما يدعوه الصهاينة وعد بلفور، يستحضر الإمام الإبراهيمي كعاداته التاريخ، فيصرف إليه الأذهان ويميل إليه القلوب بأسلوب جزل، يقول: «ما بال هذه الطائفة تدّعي ما ليس لها بحقّ، وتطوي عشرات القرون لتصل بسفاهتها وعد موسى بوعد بلفور، وإنّ بينهما لمدا وجزرا، وجذبا ودفعاً من الفاتحين»، وبعد أن يقدّم الإمام جملة من الأدلة التاريخية والدينية نلفيه يعرض لتلاقي الشعبين؛ الجزائري والفلسطيني، وأنّ ما يجري في فلسطين إنّما هو امتحان للعرب جميعا، وأنّ هذه القضية محنة امتحن الله بها ضمائرنا وهمنا وأموالنا ووحدتنا، وليست فلسطين لعرب فلسطين وحدهم، وإنما هي للعرب كلّهم⁵، ثمّ يتّجه بالقول إلى العرب عند تقسيم فلسطين وتطبيق إسرائيل ما جاء في ذلك الوعد الملعون، وقد بلغ غيظه قمته وبلغ سخطه منتهاه، فيصبّ جام غضبه على من بقي مكتوف الأيدي، مكتفيا بالنظر أو الاستماع،: «يا قوم ما ظلمت فلسطين يوم قسّمت ولكنّها ظلمت يوم بذل بلفور وعده للصهاينة باسم حكومته، وما متنا -أهل هذا الجيل- إلّا من شهد يوم الوعد، وشهد يوم التقسيم وشهد ما بينهما، ومن عرف مصادر الأمور عرف مواردها، فانظروا -ويحكم- ماذا فعل الصهيونيون من يوم الوعد إلى يوم التقسيم وانظروا ما فعلنا»⁶، ومن أطف ما كتبه من قطع مسجّعة تلك السلسلة التي أسماها "سجع الكهان، وقد كان يوقعها بإمضاء كاهن الحي، ولئن كان تتلاقى في أفكارها مع المقالات السابقة، فإنّها تختلف معها من حيث البنية والإيقاع، فقد تعمّد فيها قوة السجع، ودقّة التصوير والمبالغة في التهويل، من ذلك قوله: «ثار للغرب في فلسطين، لم تنبت عليه شجرة من يقين،

وشياطين تترو للإغراء إثر شياطين، يوم في أعناقكم بيوم حطين، تنسيه غزيرة الماء والطين، فتذكره بعزة الجنس والدين، أنسيتم تنادوا مصبحين، وتعادوا مسلحين، وتصادوا مصطلحين، وتعاونوا من كلّ حذب وتهاووا من كلّ صوب، ذؤبان تقدمها رهبان، وغربان تظللها صلبان، تنازعكم إرث الإسلام، ومعراج عليه السلام، أنسيتم ما فعله صلاح الدين بالمعتدين»⁷، فلا إبراهيمي يعول أكثر ما يعول في اللغة على القرآن الكريم وأسلوبه وبلاغته، كما يعول على لغة العرب وأيامها، وفي حديثه عن فلسطين يأتي مجموعة من الأدلة والحجج التي قد تغيب عن كثيرين، فالمتتبع لهذه المقالات يقف عند حقائق جلييلة منها:

. أن فلسطين قطعة من الوطن الإسلامي الكبير، قبل أن تكون من الوطن العربي الصغير.

. أن فيها أولى القبلتين والمسجد الأقصى الذي بارك الله حوله.

. أنها أرض الفتوحات حيث ملكها الإسلام بالسيف وساسها بالعدل.

. أنه مرتّ بها حيول بابل والرومان والصليبيين.

. أن عمر رضي الله عنه حرّرها، ومن بعده صلاح الدين.

. أن ثمة لطيفة عجيبة يذكرها الإمام، وهي أن حقيقة الصهانية على مرّ العصور واحد لا تتغير، إذ: « ما أشبه الصهيونيون بأولهم في الاحتياط للحياة، أولئك لم يقنعوا بوعدهم الله، فقالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها، وهؤلاء لم يثقوا بوعدهم بلفور حتى ضمنت لهم بريطانيا أن يكونوا في ظلّ حراهما... وبذلك استطاعوا أن يدخلوا مهاجرين ثمّ يصبحوا سادة مالكين»⁸، وهنا يحسن بنا أن نذكر أن بريطانيا التي ذكرت في هذا المقام هي في نظر الإمام الشرّ كلّ الشرّ، فقد عدّها: « أول الشرّ ووسطه وآخره، وإنهم-الإنجليز- كالشيطان منهم يتندى الشرّ وإلهم ينتهي، وإنهم يزيدون على الشيطان بأن همزاتهم صور مجسّمة تؤلم وتؤذي وتقتل»⁹.

والإبراهيمي يتجاوز كلّ الأقاويل المحوّفة ما لم يوافق القول العمل، ففي معرض حديثه عن فلسطين يحرص كلّ الحرص على مبدأ عظيم هو مبدأ الفعالية¹⁰، حيث يرى أن فلسطين ليس لها حلّ إلاّ بفعل إيجابي ينجزه المسلمون فـ: «استرجاع فلسطين ممكن وميسور بالبدل والاتحاد، والتّعفف عن المطامع، فإذا ظاهر الرأى الرأى في المعقول، وشاركت اليد اليد في المبدول، وطهر المجتمع العربي والمجتمع الإسلامي من المخذلين والمعدلين، ومن الذين يتناولون الأمور الكبيرة بالعقول الصغيرة والأنظار الصغيرة، ويعارضون تشييد الحصون بتزويق المساجد، إذا وقع هذا فأبشروا باسترجاع فلسطين ومحو العار، وإلاّ فإنّ فلسطين ضاعت ضياع الأبد بقدرتها وأقصاها»¹¹، فالشيخ على وعي تامّ بما يحدث، وذو مقدرة فائقة في تمييز الأمور وما قد تؤول إليه في الأيام القليلة المقبلة، لذلك نجد يصرّ بين الفينة والأخرى على خطورة الموقف، وتكالب الأمم على فلسطين خصوصا، وعلى الإسلام والمسلمين عموما، وهو ما عبّر عنه في مقاله الموسوم: "العرب واليهود في الميزان عند الأقوياء"¹²، كما تميّز الشيخ بثقافته الواسعة في التاريخ، وإطلاعه المكثّف بأيام العرب،.

يعول الإبراهيمي على القرآن الكريم كثيرا فلا تكاد فقرة ممّا يكتب إلاّ وقد استعان بآية أو آيات من الذكر الحكيم، فهو عمدته وركنه الذي يأوي إليه، والمتتبع للإمام في كتاباته وأساليبه يجده يستعين بالقرآن الكريم في صور متنوعة:

فتارة يثبت الآية والآيتين إثبات استشهاد، وتارة أخرى يعتمد القرآن دون سرد لأيّ الكريمة، وكذا كثرة اقتباسه من القرآن، سواء ما كان باللفظ والمعنى، أو التصرّف فيه، أو النسج على منواله، كما يكثّر ذلك فيعتمد أكثر من آية في مقام واحد، فالمعجم القرآني حاضر بقوة عند الإمام، وممّا نجده في هذا الصّدّد عند حديثه عن سلب اليهود لأرض فلسطين

قوله: "إن فلسطين وديعة محمد عندنا، وأمانة عمر في ذمتنا، وعهد الإسلام في أعناقنا، فلئن أخذها اليهود منا ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون"¹³، وهو مقتبس من قوله تعالى: "قَالُوا لَئِن أَكَلَهُ الذُّبُّ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ" [سورة يوسف، الآية 14]، فقد استحضرت الإبراهيمي موقف يعقوب عليه السلام وخوفه الشديد على ابنه يوسف عليه السلام، وموقف الأمة تجاه فلسطين، ومن ذلك أيضا دعوته للتصدي لخطر الصهاينة واكتساحهم أراضي فلسطين: "ما أجهل العرب إذا لم يعالجوا هذه الجرثومة الصهيونية الخبيثة بالاستئصال إنهم -والله- إن ل يفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير"، اقتباسا من القرآن الكريم في قوله تعالى: "إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ" [سورة الأنفال، الآية 73]. أما أخذه من الحديث النبوي فنجده أيضا في أسلوب الإبراهيمي، وهو في نحو قوله في محنة فلسطين: "لا تلهينك المفاوضات والمخابرات، فكلمها تضييع للوقت، وإطالة للذل، ولقد جرّبت ولدغت من جحر واحد مرارا"¹⁴، وهو من حديث المصطفى عليه الصلاة والسلام: "لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين"¹⁵.

حضور التاريخ في لغة الإبراهيمي:

لقد تميّز الإبراهيمي عن نظرائه بسعة اطلاعه وإلمامه بتاريخ العرب وأيامها، فحين يحدثنا عن فلسطين يستنطق التاريخ لحظة لحظة، ولا غرو أن تنال عنده وافر الدراسة والكتابة، ففلسطين جزء منه، وهو جزء منها، وقد خلف في ذلك سبع مقالات متتالية، ومن جملة ما قاله في تاريخها باختصار ما نصّه: « كان حظّ فلسطين في أدوار الزمن وأطوار التاريخ وعصور الفتوحات حظّ العقيلة الكريمة، تؤخذ في ميدان البطولة مهمورة لا مقهورة، أخذها البابليون غالبا، وأخذها الفرس اغتصابا، وأخذها الرومان اقتسارا، وأخذها العرب اقتدارا، ولا يُعدّ أخذ اليهود لها من كنعان في واحدة من هذه، وإنما هي كتابة الله بشرطها، ومعجزة موسى في حدودها، ولكنها في هذا العصر عصر الحضارة حضارة القرن العشرين وعصر الديمقراطية ديمقراطية العالم الجديد، وعصر الحرية، وحرية الثورة الإفريقية، وعصر الشيوعية، شيوعية ماركس ولينين، تؤخذ في سوق الأغراض، والمنافع الخسيسة بيعا ومساومة... فات اليهود أن يأخذوها بالسيف من العرب، فيكفروا بعد عشرات السنين عن سيّئة اجترحها أسلافهم يوم قالوا: "يا موسى إن فيها قوما جبارين، فاتهم ذلك وأعوزهم الخصائص الدّموية التي يكونون بها كذلك، فلجأوا إلى ما هو أشبه بهم لا بما، وهو الشراء"¹⁶، وإذا رحنا نتأمل هذه الفقرة نجد فيها كثرة الإشارات الموجزة والمركزة، ولكنها في الوقت ذاته عميقة، فقد جمع فيها بين الماضي السحيق والحاضر المعاصر بكلّ معطياته¹⁷، فالتصّ يحدثنا عن تكالب المحتلين على فلسطين بدءا من الرومان والفرس وبابل، معتمدا على ما صحّ ذكره في القرآن الكريم من وقائع تاريخية متعلّقة باليهود وحديثهم عن وجود قوم اتّصفوا بالقوّة والجبروت عدّوا أنفسهم أهلها، يقول تعالى: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِن فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴾ [سورة المائدة، الآية 22]، وهذا ديدن الإمام عند كلّ حديث عن فلسطين، إذ لا يفتأ يغذّيه بمخزونه الثقافي وبراعته اللغوية، ولا أدلّ على ذلك من قوله: «ما أشأم الصهيونية على فلسطين، وما أعمق صهيون لفلسطين، وما أضلّ ضلال اليهود إذ يجرون وراء خيال الوطن القومي فيجرون البلاء لفلسطين، ويزهقون روح (سام). بماّدة الغرب المسمومة، وسبحان من فاوت بين العنصرين في رقّة الحسّ ودقّة الحدس، وسبحان من خصّ العرب بالعامري، واليهود بالسامري»¹⁸، ولعلّ المأساة التي أردت فلسطين مغصوبة القيمة بهذه الفاجعة التي ذاق الإبراهيمي مرارتها؛ دفعته إلى البحث عن مجدها المتلوف في التاريخ: «إيه يا فلسطين، لقد كنت مباركة على العرب في حاليك، في ماضيك وفي حاضرِك، كنت في ماضيك مباركة على العرب يوم فتحوك فكمّلوا بك أجزاء جزيرتهم الطبيعية، وجمّلوا بك تاج ملكهم

الطريف، وأكملوا بحرمك المقدس من حرمهم، ويوم اتخذوك ركابا لفتوحاتهم»¹⁹، فيتضح من النص أن صاحبه يستدرج التاريخ مستخلصا منه معاني الحرية والبطولة في غمرة الحسرة الأليمة الممزوجة بالتعجب والتأوه كما يرسمها الصوت السجين، ثم تشده الذكرى وتطول وقفته عندها وتتداعى له معاني التاريخ لتلمي عليه أن فلسطين كانت مربطاً لحماية الثغور، وعتبة العرب إلى مصر، ومعبرهم إلى إفريقيا، ومنظرهم إلى بحر العرب، ثم يطغى عليه الحنين اليأس، فيتمزق ضميره أسفا وقلقا، يريد استنفار العرب للذود عن فلسطين، فلا يألو يستنهض فيهم همهم، ويهز الجامدين منهم، ويذكي في نفوسهم فريضة الجهاد²⁰.

وقد بالغ الإمام بعروبه واعتزازه بانتماؤه لهذا الوطن العربي والإسلامي الكبير، يظهر اعتزازه جليا في هذا النص قائلا: «وكاتب هذه السطور معتز بعروبه إلى حد الغلو... لأنه عربيّ أوّلا ومسلم ثانيا، وفلسطيني بحكم العروبة والإسلام ثالثا، فله بعروبه شرك في فلسطين من يوم طلعت هوادي خيول أجداده على البلقاء والمشارف، وتصاهلت جيادهم باليرموك تحمل الموت الزؤام للأروام، وله بإسلامه عهد لفلسطين من يوم اختارها الباري للعروج إلى السماء ذات البروج، وله إلى فلسطين نسبة من يوم قال الناس مسجد عمر، بل من يوم قالوا غزّة هاشم، وقديما انتخى جرير وهو في الصميم من تميم بخيله التي وردت نجران معلمة بالدارعين وما وردت إلا لإنقاذ تيم حين مسّها الضيم، فكيف لا ينتخي بخيله التي وردت المشارف من هو في السرّ من فخر والذوائب من قريش»²¹، فنلاحظ أن أسلوب الإمام استمرار للأساليب الفحلة القديمة وتطور لتعابيرها وطرائقها في تديج القول وزخرفة الكلام، فلا عجب عندئذ أن تجد الألفاظ جزلة، والمعاني واضحة، وتأنقا في الأسلوب، ورغبة في رثته بالمحسنات اللفظية والمعنوية على اختلافها²².

فلم يتوان لحظة في الدفاع عن فلسطين، بل أضحت شغله الشاغل، وشكلت عند هاجسا لا يكاد يفارقه، وقد تبرّع بمكتبته الخاصة لنصرة الفلسطينيين ودعم جهادهم²³، مستعينا بقدرته الفائقة على البرهنة بالحجج المنطقية والأدلة المادية للدفاع عن عروبه وإسلامه وعروبة فلسطين وإسلامها، يقول: «ولو أن السيوف أغمدت والذهب الصهيوني رجع إلى مكانه وعرضت القضية على مجلس عدل وعقل لا يستهويه بريق الذهب ولا يرهبه بريق السيوف، لقال القانون إن ثلاثة عشر قرنا كافية لتملك بحق الحياة، وقال الدين: إن أحقّ الناس بمدافن الأنبياء هم الذين يؤمنون بجميع الأنبياء، وقال التاريخ: إن العرب لم يزعوا فلسطين من اليهود، ولم يهدموا لهم فيها دولة قائمة، ولا ثلوا لهم عرشا مرفوعا، وإنما انتزعوها من الرومان، فهم أحقّ بها من كلّ إنسان»، ويقول أيضا: «ونحن نريد فلسطين كاملة بالاستحقاق الذاتي لأننا آخر ورثتها، ولأننا وضعوا اليد عليها بالحوز والتصرف، كما يقول فقهاء القانون»²⁴، ولعلّ نبرة الثورة والتحرر والعدالة واضحة في أدب الإبراهيمي، وهي نبرة ليست بالجديدة على أدب المغرب العربي في شموليته²⁵، ومن ثمّ كان الأدب الواقعي أبرز أدب²⁶ أثبت ديمومته واستمراره في الجزائر خصوصا، وبقية أمصار العروبة والإسلام عموما.

أما اللغة في أدب الإمام فتشكل الخلية الحية لمقاييس العمق التي يرتفع إليها أدبه²⁷، ويلتقي عنده مفهوم اللغة مع مفهوم الأدب ويصبح محتوى العمل الأدبي عنده أفكارا قائمة بذاتها²⁸، لأن اللغة التي يستعملها عميقة في ذاتها، وعميقة الدلالات والتفسيرات، لا من حيث المتانة والقوة فقط، ولكن من حيث المقصود والمفهوم الذي تحمله معها، ومن حيث ارتباطها بالمضمون التي تنبض داخله، ومن حيث الفكرة التي يتبناها صاحبها بقلمه²⁹، فليس غريبا على غيور على العربية والإسلام أمثال الإبراهيمي أن ينافح عنهما وقد امتلك ناصية اللغة، واستكمل أدواتها، والمتتبع لوظيفة اللغة عنده يجدها تسير على ثلاثة مستويات، مستوى اللغة الشعرية، ومستوى اللغة الخطابي، ومستوى اللغة التقريرية³⁰، ولعلّ مرادنا من ورقة البحث

في هذا المقام ينطلق من معاينة المستوى الثاني من هذه المستويات الثلاثة باعتبار أنّ موضوع البحث يعالج لغة الخطاب في نماذج حول قضية فلسطين، ومردّ نزعتة الخطابية التي تغلب في كتاباته يعود إلى طبيعة الإمام نفسه وشخصيته الأدبية، فقد كان خطيباً مصقاعاً إذا حدث أنصت له الحضور، ومن جملة ما قاله ارتجالاً خطاباته التي ألقاها في المحافل الوطنية والدولية، كخطبه في مجامع اللغة، في القاهرة ودمشق، وغيرها، وفي قراءة سريعة في خطبته التي ألقاها في مجمع دمشق³¹ في شهر يونيو من سنة 1953م ندرك جيداً قوة التعبير، ومثانة الأسلوب والتحكم في الألفاظ والمعاني وأصالة الذوق :

1. اعتزازه بحمل التراث، والذبّ عن حماه، بل هو أحد المتشدّدين الغالين في المحافظة على خصائصه ومقوماته، يقول: «... وأنا مجنون هذه الأمة العربية، المفتون بمحاصيها وحاضرها»³².

2. اعتماده على القرآن الكريم، أسلوباً وبلاغة وموضوعاً، يقول: «فإذا كانت قد نضبت في فترة أخرى فيما كسبت أيدي الناس»، وهو مأخوذ من قوله تعالى: «ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ» [سورة الروم، الآية 41].

3. أسلوب التكرار، إذ ما تكرر تقرر، وهو في هذا النص يؤكد صلته وانتماءه الشديدين لهذه الأمة بماضيها وحاضرها، فتجد يدعم هذا بقوله: «لي من الصلات الطبيعية بهذا الجمع»، ونحو: «وإني واحد من هذا الصنف الجديد»، و«أنا بعد ذلك واحد من هذه العصابة»، وقوله: «ولي أيها الإخوان من الصلات المكتسبة»، و«أني أحببت منها -اللغة- ما أحبّ الله منها يوم أنزل وحيه الكامل بلسانها»³³.

4. معرفته التامة بتاريخ العرب وأيامها وقبائلها، وافتخاره بذلك، يقول: «فإذا كنتُ أفخر بأنني أعرف من قبائلها الغابرة حتى السكوف والسكاسك، وأعرف من منازلها الدائرة حتى اللوى والدكادك»³⁴.

لقد استلقت للإبراهيمي كلّ مؤهلات اللغة وأسبابها، ولم تكن نصوصه بعيدة عن نصوص الأوئل من الكتاب والمصنّفين، ومن نصوصه في القضية الفلسطينية مقاله الموسوم (تصوير الفجوة)، مفتتحاً إياه بقوله: «يا فلسطين، إنّ في قلب كلّ مسلم جزائري من قضيتك جروحاً دامية، وفي جفن كلّ مسلم جزائري من محتك عبرات هامية، وعلى لسان كلّ مسلم جزائري في حقك كلمة مترددة في حقك هي: فلسطين قطعة من وطني الإسلامي الكبير، قبل أن تكون من وطني العربي الصغير، وفي عنق كلّ مسلم جزائري لك - يا فلسطين - حق واجب الأداء، وذمام متأكد الرعاية»³⁵، والأديب قبل أن تكتمل له أدوات الكتابة ينطلق من مبدأ أنّه مواطن وله رأي في المسائل ذات الأبعاد السياسية والاجتماعية³⁶، لاسيما إذا كان الأديب ملتزماً في أدبه، لذلك كان إحساس الإمام بالقضية مبكراً، فمضى يبرهن على دلالة الروابط بين الشعبين الشقيقين، وآمن بأنها واقعة من وقائع العصر الحديث، وتحوّل سليلي في تاريخ العرب والمسلمين إذا فرطوا فيها، معرباً عن موقف الجزائري الأبي الذي يظلّ متمسكاً بما مدافعا عنها في كلّ الظروف والإحن، ومما جاء في هذا المقال قوله أيضاً: «أبظنّ الظّانون أنّ الجزائر بعراقتها في الإسلام والعروبة تنسى فلسطين، أو تضعها في غير منزلتها التي وضعها الإسلام من نفسها، لا والله، يأبي لها ذلك شرف الإسلام ومجد العروبة ووشائج القربى، ولكن الاستعمار الذي عقد العقدة لمصلحته، وأبي حلّها لمصلحته، وقايض بفلسطين لمصلحته هو الذي يباعد بين أجزاء الإسلام لئلاّ تلتئم، ويقطع أوصال العروبة كيلا تلتحم، وهيئات هيئات لما يروم»³⁷، فالإبراهيمي إنّما يحاول ربط الموضوع من جميع جوانبه الدينية والاجتماعية، فتراه منفعلاً وملتحمًا بقضايا المجتمع العربي قاطبة، ووثيق الصلة بها³⁸. حيث ينفي جميع الحلول أمام استرداد فلسطين حقّها - جملة وتفصيلاً -، إلاّ حلّ المشكلة بالموت في ميقات يوم معلوم، وهو في هذا الموقف يحذّر كلّ الحذر من

أية مؤامرة تحاك ضدّ العرب³⁹، كلّ هذه المعاني جعلت الإمام الإبراهيمي يندر نفسه لفلسطين التي خلقت في فكره مناخا حالكا، يقطع عليه حبال تفكيره، فلم يجد بداً من أن ينفجر بنداء طافح بمشاعر تمسّ شغاف القلوب⁴⁰: «إنّ فلسطين وديعة محمد عندنا، وأمانة عمر في ذمتنا، وعهد الإسلام في أعناقنا، فلئن أخذها اليهود ونحن عصبة إنّا إذا لخاسرون»⁴¹، فالنصّ يعرب عن أنّ الإبراهيمي يتصوّر قضية فلسطين قدرا من أقدار هذه الأمة، يمتحن فيها أصالتها وجمادتها بالحياة⁴²، فلا جرم أنّ الإمام الإبراهيمي أخلص للكلمة المجاهدة أمانتها.

يهيب بنا الإبراهيمي أن تكون قضية فلسطين محنة امتحن الله بها ضمائرنا وهمنا وأموالنا ووحدتنا، وأنّ فلسطين ليست لعرب فلسطين وحدهم، وإنّما هي للعرب كلّهم، وليست حقوق العرب فيها تُنال لأنّها حقّ في نفسها، وليست تُنال بالهينة والضعف، وليست تُنال بالشعريات والخطايا، وإنّما تُنال بالتصميم والحزم والاتّحاد والقوّة، داعيا إيّانا بقوله:

وكونوا حائطا لا صدع فيه وصفا لا يُرَقّع بالكسالى

الهوامش

إحالات البحث:

- 1 - عبد الكريم بالصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطوّر الحركة الوطنية الجزائرية (1931م/1945م)، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط01، 1981م، ص 358.
- 2 - عبد الله الركبي: قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ط03، 1977م، ص 42.
- 3 - جريدة البصائر، السلسلة الثانية، العدد 05، السنة الأولى، الصادرة في 05 سبتمبر، 1366هـ/1948م، ص 01، وينظر: عيون البصائر، الجزائر، ط02، 1971م، ص 483.
- 4 - عيون البصائر، ص 484.
- 5 - ينظر: عيون البصائر، ص 487، وينظر: فلسطين في الأدب الجزائري الحديث، عبد الله الركبي، دار الكتاب العربي، الجزائر، دط، ص 160.
- 6 - عيون البصائر، ص 491.
- 7 - عيون البصائر، ص 601.
- 8 - آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط01، 1997م، ج03، ص 436.
- 9 - آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج03، ص 449.
- 10 - ينظر: بناء النسق الفكري عند محمد البشير الإبراهيمي، قراءة في ظلّ البنية والمتغيّر، عمر أحمد بوقرورة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، دط، ص 85.
- 11 - آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج04، ص 300.
- 12 - آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج03، ص 345.
- 13 - عيون البصائر، ص 564.
- 14 - عيون البصائر، ص 564.
- 15 - رواه الإمام مسلم في صحيحه، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دط، 2004، ص 1222.
- 16 - عيون البصائر، ص 503.
- 17 - محمد محيي الدين: ثقافة البشير الإبراهيمي وأثرها في أسلوبه، عيون البصائر نموذجاً، رسالة ماجستير، قسم اللغة والأدب، جامعة تلمسان، 2007م/2008م، ص 183.
- 18 - عيون البصائر، ص 507.
- 19 - جريدة البصائر، السلسلة الثانية، العدد 05، السنة الأولى، ص 01.
- 20 - محمد عباس: البشير الإبراهيمي أديبا، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، ص 109.
- 21 - عيون البصائر، ص 523.
- 22 - ينظر: فنون النثر الأدبي في الجزائر، عبد الملك مرتاض، ديوان المطبوعات الجزائرية، ط01، 1983م، ص 336.
- 23 - عيون البصائر، ص 507، وينظر: "أنا" للإبراهيمي، عدد خاصّ بالإمام الإبراهيمي منشور بمجلة الثقافة، وزارة الثقافة، العدد 87، 1984م.
- 24 - عيون البصائر، ص 507.
- 25 - محمد مصايف: النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، دط، 1979م، ص 276.
- 26 - جورج سالم: على هامش الأدب العربي، مكتبة الشرق، حلب، ط01، 1965م، ص 28.
- 27 - محمد عباس: البشير الإبراهيمي أديبا، ص 331.
- 28 - جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، دار الثقافة، القاهرة، دط، 1984م، ص 390.

- 29 - محمد عباس: البشير الإبراهيمي أديبا، ص 332.
- 30 - محمد عباس: البشير الإبراهيمي أديبا، ص 313.
- 31 - آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 04، ص 224.
- 32 - آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 04، ص 224.
- 33 - آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 04، ص 225.
- 34 - آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 04، ص 225.
- 35 - جريدة البصائر، السلسلة الثانية، العدد 05، السنة الأولى، ص 01.
- 36 - رينيه ويليك، أوستين وارين: نظرية الأدب، ترجمة: محيي الدين صبحي، ومراجعة: حسام الخطيب، المجلس العلي لرعاية الفنون والآداب، ط 03، ص 123.
- 37 - جريدة البصائر، السلسلة الثانية، العدد 05، السنة الأولى، ص 01.
- 38 - عباس الجراري: الثقافة في معركة التغيير، المغرب، دار النشر المغربية، ط 1972م، ص 10.
- 39 - ينظر: جريدة البصائر، السلسلة الثانية، العدد 05، السنة الأولى، ص 01.
- 40 - محمد عباس: البشير الإبراهيمي أديبا، ص 111.
- 41 - ينظر: جريدة البصائر، السلسلة الثانية، العدد 05، السنة الأولى، ص 01.
- 42 - سميرة عزام: دور الأدب في معركة فلسطين، مقال منشور في: مؤتمر الأديباء العرب الخامس، بغداد، مطبعة العاني، 1965م، ص 185.
- قائمة المصادر والمراجع:**
- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.**
- الإمام مسلم: الجامع الصحيح، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 2004م.**
- أولاً: المصادر.**
1. محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط 01، 1997م، ج 03.
2.: أنا، عدد خاص بالإمام الإبراهيمي منشور بمجلة الثقافة، وزارة الثقافة، العدد 87، 1984م.
3.: عيون البصائر، الجزائر، ط 02، 1971م.
4.: جريدة البصائر، السلسلة الثانية، العدد 05، السنة الأولى، الصادرة في 05 سبتمبر، 1366هـ/ 1948م.
- ثانياً: المراجع.
5. جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، دار الثقافة، القاهرة، ط 1984م.
6. جورج سالم: على هامش الأدب العربي، مكتبة الشرق، حلب، ط 01، 1965م.
7. رينيه ويليك، أوستين وارين: نظرية الأدب، ترجمة: محيي الدين صبحي، ومراجعة: حسام الخطيب، المجلس العلي لرعاية الفنون والآداب، ط 03، ص 123.
8. سميرة عزام: دور الأدب في معركة فلسطين، مقال منشور في: مؤتمر الأديباء العرب الخامس، بغداد، مطبعة العاني، 1965م.
9. عباس الجراري: الثقافة في معركة التغيير، المغرب، دار النشر المغربية، ط 1972م.
10. عبد الكريم بالصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطوّر الحركة الوطنية الجزائرية (1931م/1945م)، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط 01، 1981م.
11. عبد الله الركيبي: فلسطين في الأدب الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط 01، ص 123.
12. عبد الله الركيبي: قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ط 03، 1977م.
13. عبد الملك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر، ديوان المطبوعات الجزائرية، ط 01، 1983م.
14. عمر أحمد بوقرورة: بناء النسق الفكري عند محمد البشير الإبراهيمي، قراءة في ظلّ البنية والمتغير، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط 01، ص 123.
15. محمد عباس: البشير الإبراهيمي أديبا، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 01، ص 123.
16. محمد محيي الدين: ثقافة البشير الإبراهيمي وأثرها في أسلوبه، عيون البصائر نموذجاً، رسالة ماجستير، قسم اللغة والأدب، جامعة تلمسان، 2007م/2008م.
17. محمد مصايف: النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ط 01، 1979م.